ظهر حديثا

العالم الظريف لألدس هكسلى نقله إلى اللغة العربية الأستاذ محمود محمود (دار الكاتب المصرى)

هى جرأة محمودة تلك التى أوحت إلى دار الكاتب المصرى نشر هذا الكتاب ، وإلى الأستاذ محمود محمود نقله إلى اللغة العربية ؛ فان نقل هذا السفر إلى لغتنا العربية لما يبشر بذلك الوقت، الذى نرجو أن يكون قريباً ، حين نرى الأدب العربى يساير الأدب الأوربى جنباً إلى جنباً ؛ فكما نجد كل مؤلف قيم فى لغة من اللغات الأوربية لا يلبث أن ينقل إلى اللغات الأخرى، كذلك نود أن نرى مثل هذا المؤلف لا يلبث ان ينقل إلى اللغة العربية ؛ وحينئذ نشعر كل الشعور بأن اللغة العربية تسير مع الزمن ، وأن عالم الفكر العربى يتابع النهضة الفكرية ويساهم فيها . ولكننا نرى من الجرأة نقل هذا المؤلف ؛ لأنه بموضوعه وبأسلوب مؤلفه وبطريقته فى معالجة الأمور يتطلب نقله إلى اللغة العربية جهداً ليس بالهين ، بل هو مجهود يعتبر بعض التوفيق فيه مدعاة للفخر، فكيف إذا كان مجهوداً موفقاً كل التوفيق !

يتميز ألدس هكسلى من الكثير من الكتاب الانجليز فى هذا العصر بطابع خاص ؛ فهو سليل قوم عرفوا بالانكباب على الآداب والعلوم والانقطاع لها ، وأوتوا بسطة من العيش فليس منهم من شغل بتدبير أمور حياته ، ونشاوا منذ طفولتهم يعملون لتنمية مواهبهم ، واتباع ميولهم . فلا عجب إذا اشتهر من أهلة أفراد بلغوا أوج الشهره فما اختاره كل منهم من نواحى الفن أو العلم . فجده هو هكسلى الطبيب الشهير فى تاريخ العلوم الذى أيد داروين فى آرائه . وأخوه اليوم عالم من أكبر الباحثين فى علم الحياه ، وهو يرأس الآن تلك الهيئه الثقافية التى أنشأتها هيئة الأمم المتحده . أما ألدس فقد مال إلى الأدب، وإن كان لم يهمل ثقافة العلم ، وكان فى شبابه ممن يعجبون بالكاتب د. ه. لورنس . ولقد تولى نشر جانب من رسائل لورنس إليه ومنها نعلم تأثره بهذا الاديب . ولكن

الفرق بين طريقة الأستاذ فى قصصه والتلميذ كبير ، وإن كان أدب كل منهما يمثله كل التمثيل .

كان د. ه. لورنس يكتب باحساساته وبقلبه ، وكان شديد الاسهاب فى بعض المواقف حيث تمس آراء ونظريات يهتم بها اهتماما خاصا ، وذلك أكبر السر فيما كان له من تأثير فى قرائه .

أما التلميذ فقد أظهر حتى فى مؤلفاته الأولى وجهة جديدة خاصة ، تدل على أنه مع إعجابه بالأديب لورنس لم يتأثر به ولم يسر فى ركابه ؛ بل هو صاحب طريقة خاصة فى معالجة قصصه ، كما أنه صاحب نزعة خاصة فى أفكاره . فهو أولا وقبل كل شئ ذلك الرجل الذى امتلأ ذهنه الكبير بقراءات واسعة شاملة فى موضوعات مختلفة ، وهو الرجل الذى وجد الوقت ليدرس كل مايجب وكما يجب ، فحشد طائفة كبيرة من المعلومات الأدبية والعلمية وهو فى مقتبل العمر لا يمكن أن يحصل عليها كاتب نشأ فى فاقة مثل لورنس ولا يمكن أن يصل إليها إلا أن يبذل العمر فى هذا السبيل .

وشئ آخر نلاحظه فى كتابات ألدس هكسلى ومؤلفاته ولا نجد مثله بل نجد خيراً منه فى كتابات د. ه. لورنس ؛ ذلك أن وسطه العلمى جعل عباراته دقيقة حادة قاطعة كالمشرط فلا تجد فيها روح الشعر الذى تجده فى عبارات د. ه. لورنس ولا تلك البسطة فى العبارة .

الحقيقة أن ألدس هكسلى ظل يصدر عن عقله ، وعقله فقط ، فى كتاباته ، أما مشاعره فهى مشاعر الرجل الذى لا يؤمن إلا بالعقل وحده ؛ ففيه روح السخرية قوية لاذعة ، وهى إن تلطفت صارت فكاهة ولكنها لن تنزل إلى العطف .

ولذلك ترى أشخاص رواياته يتحركون ويتكلمون ويضطربون فى الحياة تدفعهم أهواؤهم وغرائزهم هنا وهناك ، وتسيطر على أقدارهم روح شريرة مرحة يتبين للقارئ بقوة أنها روح مؤلفهم الذى هو خالقهم .

أما موضوع القصة فلا يهتم به هكسلى . وقد تقرأ قصة من قصصه وتحاول جاهداً أن تعيد موضوعها لصديق فلا تكاد تجد موضوعاً . فلنرجع مثلا إلى قصة تلك الأوراق الخاوية إذا أحببت أن تسميها ، أو إلى قصة المتناقضات إذا شئت أن تسميها ، فان التسميات عند هكسلى معقدة ذات مرام كثيرة وليس من السهل ترجمتها ؛ وهاتان القصتان مما ظهر

قبل القصه التى نشير إليها اليوم فإذا نجد ؟ نجد أحاديث لا تنتهى بين جماعة من الذين يعملون فى الحياة أعمالا عقلية أو جماعة من المترفين ، ولكنهم جميعاً ممن أصيبوا بأمراض الحياة الحديثة ، فليس فيهم من يخلو من عقد نفسية وليس من فيهم يسلك فى حياته الخاصة مسلكا مستقيما كما اصطلح عليه الأجداد .

ولكن أهم ما يسترعى النظر ويبعث على الرضا أحياناً قليلة وعلى السخط كثيراً ، هو تلك النظرة الساخرة التى ينظر المؤلف بها إلى أشخاص قصصه ؛ حتى إنك إذا كنت تشعر بالكراهية نحو هؤلاء الأشخاص مرة ، فانك تشعر بالكراهية نحو الذى يعرضهم على مسرح الحياة مرات عديدة .

أما القصة التى أصدرتها اليوم دار الكاتب المصرى فان لها موضوعاً طريفاً حقا ، هى الحياة فى هذا العالم كما يتخيلها المؤلف بعد تقدم العلم وتطور المجتمع . وفيها يستعمل الكاتب براعته فى السخرية من هذه الحياة الناشئة عن تقدم العلم ، وهو يبتدع أساليب طريفة فى هذه السخرية ، فمن سخرية بالعلم نفسه تنطوى تحت المسميات التى يبتدعها وينحتها على مثال مايفعل العلماء ، ومن سخريه بالمجتمع واتجاهه إلى محو الشخصية الفردية والانطواء تحت ألوية المذاهب ، وهذه بدور يجدها الأديب ويقتبسها من المجتمع الحاضر ، أو على الأصح من المجتمع الذى ألفت القصة فى زمنه ، ويسير بها إلى نتائجها المرتقبة ، أو قل غير المرتقبة . وهو فى هذه الصورة يكشف لنا الغطاء بنظرته الساخرة عن حياتنا وعن معنى ما نؤمن به فى الوقت الحاضر . ونحن فى هذه الصورة نعطف على المؤلف ونشاطره آراءه ، ولا نجد تلك الكراهية التى نشعر بها نحو المؤلف فى رواياته الأخرى .

فقصة « العالم الطريف » هى نقطة تحول عند ألدس هكسلى ، قبلها كان ألدس هكسلى ساخراً لاذعاً لا يشفق وكأنه لا يحفل بهذه الحياة التى يشترك فيها ، ولكنه فى هذه القصة بدأ يهتم اهتماما حقيقيا ، ويرى أن عليه واجباً فى هذه الحياة لا يستطيع إلا أن يقوم به وإن لم يتخل نهائيا عن سخريته .

لذلك نراه فى الكتاب الذى يليه يتجه اتجاها جدياً ، فى غير مواربة ، ومن غير اتخاذ ستار القصة ، إلى معالجة مشكلة الديمقراطية والحرية الفردية وكانت أوربا عندئذ على حافة الهاوية .

ووقعت الواقعة ونشبت الحرب الأوربية الأخيرة وسمته فى صميم حياته . فماذا فعل الأديب حينئذ ؟ غادر انجلترا وهاجر إلى أمريكا وانضم للقائلين بأن البلاد التى تصلى نار الحرب ليست أصلح البلاد للأدب ؛ وأن موضع الأديب ليس الاقامة فى وطن يضج بالسلاح ؛ فضجيج السلاح يشوش الأفكار ويخفت صوت الأفلام ، وإنما موضعه بلاد بعيدة عن القتال ولو فسر ذلك على أنه خيانة لوطنه ؛ فأول واجب للأديب هو المحافظة على سلامة نظرته وابتعاده عن المؤثرات الوقتية ، ولا يتيسر ذلك إلا فى جو غير جو انجلترا التى كانت وقتئذ فى أشد المعمعة ، لا يعرف أهلها الراحة يوماً أو نهاراً .

وسواء أكان مخطئاً أم على صواب فقد عاش فى أمريكا طول مدة الحرب، وأخذت كتاباته تتجه اتجاهاً قوياً نحو مشكلات الفلسفة ، ونحو نزعة قد تصفها بأنها صوفية وقد تصفها بغير ذلك ، ولكنها تنم عن نفس مريرة فيها من التبرم بالحياة أكثر مما فيها من السخرية .

ولسنا نريد أن نتعرض لدراسة ألدس هكسلى فى تطوراته الأخيرة فان لمثل هذه الدراسة مجالا آخر ، ولا نريد أن نتكهن بما ينتظر منه وهو لا يزال يرجى منه فى شيخوخته الشئ الكثير . غير أننا نستطيع أن نقول إن ألدس هكسلى يزداد شهرة على شهرة ، ليس فى انجلترا وحدها بل فى جميع البلاد الأوربية والأمريكية ، ولعل شهرته فى البلاد الأوربية والأمريكية أكبر منها فى انجلترا .

فدار الكاتب المصرى بنشر هذا الكتاب الطريف و إخراجه فى الصورة الأنيقة التى عرفت بها مطبوعاتها قد أسدت يداً إلى المكتبة العربية .

صورة جديدة لمثل النبى العربى للدكتور بشر فارس (مطبعة المجمع العلمى المصرى) .

هذا الكتيب هو عبارة عن محاضرة ألقاها الأديب المعروف الدكتور بشر فارس فى المجمع العلمى المصرى فى ٢٧ مايو سنة ١٩٤٦ ، وهى نتيجة لكشف خطير عثر عليه الدكتور بشر فارس ؛ فلقد وجد « منمنمة » وهى التسمية التى ابتدعها للتعبير عن الصورة الصغيرة

التى تزين بها الكتب وتقابل كلمة miniature فى اللغات الأجنبية . وهذه المنمنمة يرجع عهدها إلى سنة ٦١٤ هـ وفيها صورة للنبى العربى صلى الله عليه وسلم . وكان المعروف لدى العلماء والباحثين أن تصوير النبى فى منمنمات الكتب لم يحدث إلا بعد ذلك بقرن . ولكن الدكتور بشر فارس تمكن بدأبه وبحثه من الرجوع بتاريخ هذا التصوير إلى ما قبل قرن من الزمان .

وقد احتفظ حضرته بحقوق النشر والنقل والتصوير ؛ إذ هو عازم على متابعة هذا البحث ثم نشر ما جمعه من معلومات قيمة سيكون لها شأن كبير فى تاريخ التصوير العربى .

حسن محمود

قلوب الناس قصص تحليلية للأستاذ ابراهيم المصرى (دار الكاتب المصرى)

مجموعة قصصية تشتمل على إحدى عشرة قصة فى بضع وثلاثين ومائة صفحة ، تعالج كل قصة منها حالة من حالات النفس فى شدة نالتها أو كارثة ألمت بها أو عاطفة مشبوبة حصرتها فى زمان ومكان وفكرة ؛ ففى كل قصة منها حادثة ، ولكن مما يجرى فى داخل النفس لا فى ظاهر الحياة ؛ ولذلك اختار المؤلف أن يكون عنوان مجموعته « قلوب الناس » إذ كان فى كل قصة منها صورة قلب .

ومثل هذا الضرب من القصص التحليلى عسير المطلب على قارئه وعلى كاتبه جميعاً ؛ إذ كان الكاتب لا يبلغ فيه مبلغ الاجادة إلا إذا بلغ من قوة النفس وعمق النظر ونفاذ البصيرة مبلغاً يتيح له أن يرى فى كل منظر من صور الحياة ما لا يراه غيره من ذوى العيون الباصرة ، وأن يسمع فى نبر كل حديث من ألحان النفس ما لا يسمعه كل ذى أذن ؛ ثم يكون له إلى ذلك من المقدرة على « التجرد » ما يعينه على التخلص من وساوس نفسه وخصائص وجدانه وحوادث ماضيه ؛ ليكون لفنه من صفة « العموم » ما يرتفع به عن بعض هذيان المحمومين من ضحايا « الفكرة الثابتة » الذين لا يستطيعون الخلاص من بعض ما يؤثر فى خاصة حياتهم فلا يطيقون كتمانه ولا يملكون الأسلوب الصريح للتعبير

عنه ، فيحاولون نوعاً من القصص التحليلى ليتنفسوا به من ضيق ويتفرجوا من حرج ، فلا يبلغون من الفن شيئاً ولا يزيدون على أن يقدموا للقراء صورة حائلة لجانب من جوانب نفوسهم المريضة فى إطار ملفق من الرياء والكذب والأثرة ؛ ومن ثمة كانت صعوبة تناول هذا اللون من القصص النفسى .

بلى ! قد يبلغ الكاتب من قوة الإيمان بنفسه مبلغاً يهيئ له أن يعرض حياته — أو جزءاً من حياته — عرضاً قصصياً رائعاً يبلغ به الغاية فى الفن ، ولكن شرط الاجادة الأول فى هذا اللون هو « الصدق » ، ولابد فيه كذلك من « التجرد » بمعنى الارتفاع على التقاليد الاجتماعية التى تفرض عليه نوعاً من الوقار — أو التوقر — يجعل فنه غثًّا بارداً لا حياة فيه ولا عاطفة !

أما بعد فهذه إحدى عشرة قصة تحليلية قد استطاع مؤلفها أن يحقق فيها شرط الاجادة ، فكان له من قوة النفس وعمق النظر ونفاذ البصيرة ، ثم من القدرة على التجرد ، ما هيأ له أن ينفذ إلى قلوب بعض الناس فيصفها وصفاً رائعاً كأنما يصف حادثة فى ظاهر الحياة رآها رأى العين وسمعها سمع الأذن ؛ فلولا بعض المبالغة فى الوصف وبعض الاسراف فى التعبير عن بعض حركات النفس أو بعض حركات الجسد، لأحس كل قارئ فيما يقرأ صورة من نفسه أو صورة من حوله قد وعاها وعى ذى قلب وعين .

أما القصة الأولى « سامية وإنعام » فتصف حال فتاة من أوساط الناس قد نشأت على الفضيلة والمحافظة فلا تعرف من فنون الحياة إلا الطهى والخياطة وإعداد الفراش ، وإلا الصلاة والصوم وتلاوة القرآن والأدعية ؛ والأوراد ، فلما نضجت أنوثتها واكتملت انتقلت إلى بيت زوجها ... ثم . . . ثم كان كل ذنبها عند زوجها أنها لا تعرف إلا الطهى والخياطة وإعداد الفراش ، وإلا . . . فاتخذ زوجة ثانية يلتمس عندها من فنون « الأنثى » ما لا يجد عند زوجته الأولى . وتعصف الغيرة بالمرأة فتحاول أن تتكمل وتتعوض مما بها أمن النقص ، فتسرف فى الزينة والتجمل إسرافاً يزيد الهوة اتساعاً بينها وبين زوجها ؛ ثم يكون ذلك أول سقوطها . . .

لعل بعض القراء أن يسأل : أهذه هى القصة ؟ وإلى أى غاية تهدف ؟ وأين منها فن القاص وصفة العموم

وما رأينا فى الحياة العامة أن التربية الدينية المحافظة تقود فتاة إلى السقوط؟

ولست أملك جواباً عن واحد من هذه الأسئلة أو عنها جميعاً ؛ وليس يعنينى حين أعرض هذه المجموعة من القصص أن أتحدث عن الغاية التى تهدف إليها كل منها ؛ وليست هذه الحادثة هى القصة فيما قرأت ، وما التمست صفة العموم — ولعل المؤلف لم يلتمسها مثلى — فى الحادثة ، وإنما التمسها فيما تضمنته الحادثة من الانفعالات وصور الوجدان . وأحسب أن المؤلف قد أجاد — لولا المبالغة — فى وصف هذه الانفعالات وتلك الصور الوجدانية العامة ، على حين لم ينظر إلى الحادثة إلا على أنها إطار لهذه الصور والانفعالات .

ويصف المؤلف فى القصة الثانية « المقامر » قصة شاب أغرم بالقمار ثم سلا . تلك هى الحادثة كلها ؛ ولكنها قصة ، قصة إنسانية رائعة تصور فى أروع أسلوب وأحسن معرض كيف تتنقل نفس المقامر فى الإثم والرذيلة منزلة بعد منزلة حتى تهوى به إلى الحضيض الذى لا نهضة منه .

والثالثة « قصة امرأة » فى رسالة وهى امرأة يتراوح قلبها بين كهل غنى وشاب فقير : قد استهواها المال فتزوجت ذلك الكهل ، فلما تحقق لها فى بيته ما كانت تصبو إليه من الغنى والجاه عاودها الحنين إلى الشباب ، فاصطنعت الأسباب للطلاق من زوجها الكهل لتتزوج الشاب الذى كان هواها إليه ؛ ثم لم يكد يتحقق لها ما أرادت حتى افتقدت ما كانت فيه من الغنى والسيادة ، فهمت أن تعود ... ولكن . . .

وفى القصة الرابعة « أطوار النساء » يحاول المؤلف أن يعالج مشكلة الأم الثانية ، ثم ينتهى إلى الرأى بأنه لا أم إلا الأم ؛ فاذا ترمل الأب فقد حق عليه أن يصير لولده أباً وأمًّا ، وحرم عليه أن يتزوج ثانية إلا أن ينسى أبوته وولده .

والخامسة « مأساة ضمير » . ضمير رجل انغمس فى القمار والرذيلة وأضله هواه حتى فقد كل ما كان يملك أو أوشك أن يفقده ، فلم يجد لنفسه خلاصاً من ضيقه إلا أن يبيع إمرأته لاحدى شركات التأمين ليتفرج بثمنها من ضيقه ، فأمّن على حياتها ثم دس إليها أسباب الموت ليحصل على قيمة التأمين . . . ثم استأنف حياة جديدة وتزوج أخرى ، وتطورت به الأيام من حال إلى حال حتى وجد نفسه ذات يوم فى مثل ما كان فيه من الضيق قبل أن يقتل

امرأته الأولى ، فسولت له نفسه أن يعيد تمثيل المأساة . . . وألحت عليه وساوسه فلم يجد إلى الخلاص إلا سبيلا واحدة . . . وثأر من نفسه لامرأته القتيل !

ثم القصة السادسة ، وعنوانها « بعد سبع سنوات » . ولو أنصف المؤلف لسماها « قصة شاب » لتكون بازاء « قصة امرأة » التى أسلفنا الحديث عنها ؛ فالحادثة واحدة فى القصتين أو تكاد ، ولكن البطل فى هذه القصة شاب ، لا امرأة ، يتراوح قلبه مثلها بين الغنى والشباب ، فتبدأ قصته كما بدأت قصته تلك ، وتكاد نهايتهما تكون واحدة ! أكان من الضرورى أن تكون المجموعة إحدى عشرة قصة ؟

والسابعة « نداء البحر » وكل مافى العنوان من الدلالة على الموضوع ، أن أكثر حوادث القصة كانت على شاطئ البحر فى الاسكندرية ، أما « النداء » فلم أسمعه ؛ وفى القصة مشابه من قصة سامية وإنعام ؛ كل الفرق بين الحادثتين أن الفتاة هنا همت أن تتزوج رجلا ثانياً — إن صح هذا التعبير — أما فى القصة الأولى فقد تزوج الرجل امرأة ثانية . على أن الجو النفسى مختلف فى القصتين ، فلولا تشابه الحادثة لكانت هذه القصة بأصالة موضوعها وحركات النفس فيها أروع وأمتع وأعمق أثراً .

ولست أستطيع أن أعرض القصة الثامنة « روايح الجنة » إذ كان قلب المرأة فيها من نوع لا أعرفه من « قلوب الناس » ؛ قلب متناقض الأهواء متقلب الاحساس ، يحب الشئ ويبغضه فى وقت معاً ، و يرضى ثم يأبى لا يعرف أحد فيم كان رضاه وفيم كان إباؤه !

فاذا بلغت القصة التاسعة « الحياة الثانية » قرأت قصة تستحق أن تقرأها ، ثم لا تلبث بعدها قليلا حتى تذكر قصتين أخريين من المجموعة نفسها : « قصة امرأة » و « بعد سبع سنوات » فيحملك التشابه القوى بين هذه القصص الثلاث — على تفاوته فى بعض المراحل — على أن تظن ظنا أن بين هذه الحادثة بألوانها الثلاثة فى هذه القصص وبين نفس المؤلف رابطة ما ، وأن ثمة فكرة لا تزال تلم به حيناً بعد حين لأن لها فى حياته أثراً ما . . .

أما القصة العاشرة « هو القدر » فنمط من الحكاية معروف ، وهو إلى باب « الحواديت » أقرب !

ثم تأتى القصة الأخيرة « سلطان

المثل الأعلى » ويبدؤها المؤلف بالكلمة الآتية :

« هذه قصة قد لا تقع فى بيئة مصرية . وقد تقع كل يوم فى كل مكان. وليست العبرة فيها باللون المحلى أو الرسم الواقعى ، بل بما تنطوى عليه من نزعة مثالية كامنة فى كل نفس بشرية وكل خيال إنسانى . »

ولعل القصة كما وصفها مؤلفها ، بل إنها كذلك فيما أرى ؛ ولكن النزعة المثالية التى يشير إليها المؤلف لم تكن إلا فى الطفل ، فى الطفل وحده دون كل من فى القصة من رجال ونساء ؛ لولا أن ذلك الطفل المسكين لم يجد خلاصاً من أزمته إلا بأن يزهق نفسه ! وقد كانت المثالية أن يجد من نفسه القوة على مواجهة الحياة بشجاعة ، ولكنه طفل ، ولكنها مثالية طفل !

هذه هى « قلوب الناس » كما رآها الأستاذ إبراهيم المصرى فى مجموعة قصصه التحليلية التى أخرجتها دار الكاتب المصرى هذا الاخراج الأنيق فأسدت إلى الأدب العربى يداً .

ولكنى لا أريد أن أختم حديثى دون أن أنبه الكاتب الأديب إلى ضرورة عنايته بلغته ؛ فان ثمة أغلاطاً فى اللغة والنحو والتعبير ليس يجمل بأديب مثل الأستاذ إبراهيم المصرى يعالج الكتابة منذ بضع عشرة سنة أن يقع فيها .

وثمة شئ آخر لا أجد مندوحة من التنبيه إليه ، هو إيثاره العامية المصرية فى بعض الحوار ، على حين كانت العربية أسلس أداء وأطوع للسان . وقد يحتج الأستاذ المصرى لمذهبه ذاك ببعض ما كان يحتج به دعاة العامية من البكم والعجزة : أنه لم يجنح إلى العامية إلا فى بعض الحوار لتكون اللغة طبيعية على ألسنة الناطقين بها . . . وهى حجة لا أرى الأستاذ المصرى يؤمن بها ؛ فهو لم يلتزم عامية الحوار إلا فى قصة واحدة دون سائر المجموعة ؛ فلو أن طبيعة الحوار كانت تقتضى العامية كما يزعم من يزعم لما آثر الفصحى فى عشر قصص من إحدى عشرة ، فكانت العامية فى قصة واحدة هى الشذوذ الذى يلفت النظر وينبو عنه السمع ويلتوى به اللسان .

محمد سعيد العريان

دير بارم تأليف ستندال تعريب الأستاذ عبد الحميد الدواخلي (دار الكاتب المصرى)

« دير بارم » هى قصة من أروع ما كتبه ستندال من قصص ، وآية من آيات الأدب القصصى الفرنسى .قصة من هذا النوع الذى يتسلط عليك ، فما تكاد تبتدئ قراءتها حتى تشغف بها شغفاً شديداً و إذا بك تواصل القراءة وتجد فيها لا تريد أن يشغلك عنها شاغل ولا أن يمنعك عنها مانع حتى تصل إلى نهايتها . وهذا الشغف بالقصة إنما يتولد فى نفسك من حبكة حوادثها وتسلسلها المنطقى ، ومن التحليل النفسى البارع الذى اشتهر به ستندال والذى جعله منعزلا فى عصره . فستندال الذى عاش أثناء ازدهار المذهب الرومانتيكى سنة ١٨٣٠ يسرف فى التحليل النفسى إسرافاً جعل معاصريه يملون قراءة كتبه وقصصه ؛ إذ كان الأدب فى عصره لا يتعرض لتحليل النفس الانسانية ، بل كان يكتفى بوصف الشعور والاسراف فى هذا الوصف . فهذه الحساسية المريضة لا نجدها عند ستندال ، و إنما نجد استقصاء عن أسباب الأشياء ونتائجها . وهذا الميل إلى الاستقصاء هو الذى جعل ستندال منعزلا فى عصره ، وكدت أكتب منعزلا فى الأدب الفرنسى كله ؛ فهو لا يعد من الرومانتكيين مع أنه عاصرهم ، ولا يعد من الكلاسيين مع أنه يمت إلى هذه المدرسة بأكثر من سبب ، ولا يعد من الواقعيين مع أن هؤلاء نظروا إليه كأنه المنشئ الأول لمذهبهم . وفى الحقيقة أن ستندال يجمع فى أدبه شيئا من مميزات كل مذهب : فهو رومانتيكى إن شئت أن تعده كذلك ، وهو كلاسى إن أردت أن تعتبره من الكلاسيين ، وهو واقعى إن أحببت أن تضمه إلى أنصار هذه المدرسة ، ولكنه قبل كل شئ عالم قدير بالنفس الانسانية وأسرارها ودقائقها وغموضها، وقصصى بارع قلما نجد فى الأدب الفرنسى من يضاهيه براعة فى هذا الفن .

اكتشف ستندال نحو سنة ١٨٣٣ بعض مخطوطات إيطالية من القرن السادس عشر أو القرن السابع عشر. والناظر إلى هذه المخطوطات يجد فيها قصة تحمل هذا العنوان : « نسب أسرة فرنيزيه الكبيرة » وهى التى أوحت إلى ستندال قصة « دير بارم ». ففبريس دلدنجو بطل القصة يشبه

شبهاً كبيراً البابا الكسندر فرنيز ، لأن حياة الكسندر فرنيز قد أوحت إلى ستندال مغامرات فبريس وأخلاقه. وقد يظن من يعرف أن حادثاً عابراً قد أوحى إلى ستندال قصة « الأحمر والأسود » أن خيال هذا الكاتب محدود لا يعرف إلى الجموح سبيلا . وهذا الزعم باطل لا يمت إلى الواقع بصلة ؛ فخيال ستندال جامح كل الجموح ، ويشهد بذلك قصصه المتعددة التى كتبها مثل « لوسيان لوين » و « أرمانس » و « حياة هنرى برولار » ، ولكنه يحتاج إلى بعض الوقائع الثابتة ليسترسل . فقصص ستندال ما هى فى بادئ الأمر إلا عود جاف يحتطبه ثم يعيده إلينا بعد أن يزينه ويخلع عليه أجمل الحلل فيبدو مزهراً ناضراً حافلا بالثمرات .

ومهما يكن المصدر الذى أمد ستندال بقصة « دير بارم » فهذه القصة بما تعرض علينا من تحليل لشخصياتها ولشعورهم وما تصوره من صميم الحياة الايطالية ، تشهد ببراعة مؤلفها و إدراكه الواسع بخفايا النفس الانسانية . فهى تختلف إذن كل الاختلاف عن المصادر الجافة التى استمد حوادثها منها .

تبتدئ هذه القصة بصورة دقيقة لمدينة ميلانو وحالة سكانها وعاداتهم عقب موقعة لودى ، وهى صورة صادقة رسمها ستندال لا من الخيال بل من الواقع ؛ لأنه حارب مع نابليون وتبعه فى جميع حروبه . ثم ينتقل بقارئيه من إيطاليا إلى فرنسا حيث يصف لهم موقعة واترلو وصفاً دقيقاً يفوق وصف فيكتور هوجو لهذه الموقعة فى كتاب « البؤساء » . وأخيرا يسرد لنا مغامرات فبريس دلدنجو وغرامياته والمحن التى ألمت به واضطرته أن يعتزل الحياة العامة ويلجأ إلى دير بارم ليجد فيه راحة النفس وهدوء البال .

وقد أتاحت هذه المغامرات للمؤلف أن يطلعنا على خفايا السياسة الايطالية ويعرض علينا لوناً من الحياة فى بلاط أحد ملوك إيطاليا الصغار وما يملأ هذه الحياة من مؤامرات وضيعة شائنة . كل هذا يعرضه علينا ستندال بطريقة جذابة محببة إلى نفس القارئ .

وأسلوب ستندال يجعل قصصه عسيرة الترجمة ؛ فميله إلى الدقة فى اختيار الألفاظ ، وروحه الساخرة اللاذعة ونكاته البارعة لا تسهل مهمة مترجمه . فمهما بذل المترجم من جهد لنقل هذا الأسلوب وهذه الروح الساخرة لا يمكن أن تعطى الترجمة العربية صورة صادقة

من فن ستندال ، فالمترجم دائماً فى حاجة إلى أن يبتعد قليلا أو كثيراً عن النص الفرنسى لكى يتجنب ما تعسر عليه ترجمته وتأتى عباراته عربية صحيحة . وقد أجاد الأستاذ عبد الحميد الدواخلى فى ترجمته وأحسن كلما وجد إلى الاجادة والاحسان سبيلا ، والتزم الأمانة ما وسعه ذلك ؛ لأن الترجمة شقت عليه ، وقد تشق على من هو أبرع منه إن كان هناك من هو أبرع منه . فلا يسعنى إلا أن أحمد له هذا المجهود الجبار لما تغلب عليه فى الترجمة من مشقة وعسر ، وأشكره لأنه أهدى إلى قراء العربية أثراً أدبيا خالداً ، وأهنئه على هذا الأسلوب الرفيع الذى قدم فيه ترجمته .

رشدى كامل